هابيل القبول

فضيلة الشيخ
هاني حلمي

www.Manhag.Net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ،

من يهده الله تعالى فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له،

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله،

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد ،

اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء:1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(*) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب:70,71]

أما بعد،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وإن خير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم،

وإن شر الأمور مُحدثاتها ، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار .

ثم أما بعد،،

ليت شعري من مِنا المقبول فنهنيه، ومن مِنا المحروم المردود فنعزيه.

كلمات قالها علي رضي الله عنه، وهي واجب الوقت الآن.

فإن المؤمن بين يدي مواسم الطاعة يتقدم إلى الله عز وجل بتوبة،

ويُحقق معنى قول الله جل وعلا: { وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً...} [التوبة:46]

فإذا ما فارق موسم الطاعة كان الشغل الشاغل أن يحقق معنى قول الله تبارك وتعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: 60]

فبعد موسم رمضان ينبغي أن ينشغل ذهن كل عبدٍ سائر إلى الله بأمر القبول.

وقد قصَّ لنا القرآن مسألة القبول في ثلاثِ قصص من القصص القرآني؛ فذكرها في **قصة قابيل وهابيل**، وذكرها في **قصة بناء البيت على يدي نبي الله إبراهيم**، وذكره في **دعاء امرأة عمران**.

هل تعرفون قصة قابيل وهابيل؟

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ

قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة:27]

القصة أن قابيل وهابيل ابني آدم عليه السلام لما كان في الأرض كانت حواء تلد في البطن الواحدة ذكرًا وأنثى،

فكان الذكر يتزوج من الأنثى من البطن الآخر، أي أنه لا يتزوج توأمه، وإنما يتزوج أخته لكن ليست التوأم،

فما كان من هابيل إلا أن أراد أن يتزوج توأم قابيل،

فلما كان ذلك رفض ومنع قابيل هابيل من الزواج بأخته،

قالوا: لأنه تكبَّر، فقال له: إني من ولد الجنة، أي أنه كان أمر حمل أمي فيَ يوم أن كان آدم عليه السلام في الجنة، فظن قابيل بذلك أنه أعلى منزلة من هابيل،

وقالوا: لأن أخته توأمه كانت أجمل من أخت هابيل، فلذلك لم يُرد أن يتزوجها هابيل ولذلك وقع منهم أن يتقربا إلى الله بقربان، فتقدم هابيل وكان راعيًا؛ تقدم بولد ماعز أو ضأن ثمين من أخيَّر وأفضل ماله، أما قابيل فكان حراسًا فجمع بعض السُنبل من أردئ ماله وتقدم به كقربان، فنزلت من السماء نارًا وحملت قربان هابيل، وكانت هذه هي علامة القبول، فتُقبِل من هابيل.

وهو نفس الموقف الذي نقفه الآن.

من مِنا تُقبِل منه رمضان، ومن رُدَّ عليه رمضان ؟

فقيل له كما يقال للحجيج: لا لبيك ولا سعديك، حجُك مردودٌ عليك،

فيقال له: **رمضان مردودٌ عليك.**

ومن مِنا قيل له: بأنه نال الحظ والجائزة {...فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا...} [المائدة:27]

علامة القبــول الأولى: التقوى ..

هنا في قصة قابيل وهابيل بيَّن الله لنا السبب الأساس الذي به تُتَقبل الأعمال وهي ثمرة رمضان.

{...قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ... } [المائدة:27]

ألم يقل الله: {...كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ –لأي شيء؟– لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183]

فإذا خرجت من رمضان بقلب تقي فأنت أفضل الناس،

وأنت الذي نلت الجائزة: { وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } [النور: 52]

فأنت الفائز الأول: {...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...} [الحجرات: 13]

وأنت عملك مقبول: {...إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ...} [المائدة:27]

ولذلك كان بعض السلف يقول: لو أن تقبل مني سجدة لكفاني، إن الله يقول {...إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ...}.

علامة المتقين

لكن ما علامة ذلك، كيف تعرف أنك من المتقين أم لا؟

إن صرت بعد رمضان أكثر مراقبة، أكثر حذرًا، أكثر خشية، أكثر خوفا؛

هابيل قال ذلك: { لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } [المائدة: 28]

فعلامة المتقين أن يكون أخوَّف الناس لربِّ العالمين.

أما ما يحدث بعد زمان العتق والمغفرة، بعد زمان الطاعات، بعد زمان الجد والاجتهاد في العشر الأواخر من أن يحدث نوع من الفتور بعد رمضان، وهي سُنةٌ جارية، لكن فتور يعقبه تراخي، ووقوع في معاصي.

وتجد الذي كان يحافظ على الجماعة يتركها شيئًا فشيئا، والذي لم يترك ليلة في رمضان إلا وصلى فيها التراويح والقيام

الآن مرت عليه ثلاث ليال أربع ليال وبدأ الحال في التنازل شيئًا فشيئًا، فهذه ليست بصفات المتقين يا عباد الله.

صفة المتقِ لله أن يكون أكثر خوفًا، أكثر حذرًا، أكثر مراقبة لله تبارك وتعالى. هذه هي الصفة الأولى لأهل القبول .. التقوى.

قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

في قصة إبراهيم وإسماعيل – عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام – لما رفعا البيت {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة:127]

قصة امرأة عمران

وفي قصة امرأة عمران لما قالت : {...رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [آل عمران:35] هنا أمران آخران لإجابة العمل زز لقبول العمل.

لماذا ذُيِّلت الآيتين باسمين من أسماء الله هما هما . . . السميع والعليم ؟

قال أهل العلم: مقتضى اسم الله السميع أن ثمة كلام يسمعه الله، كلام يصدر عن الإنسان. ما الكلام هنا ؟ إنه **الدعاء.**

إذًا شرط وعلامة ومن أهم ما يجب أن تنشغل به بعد موسم الطاعة هو::

كثرة الدعاء بالقبول.

قل كما قال إبراهيم، وكما قالت امراة عمران .. قل:

ربِّ تقبَّل مني إنك أنت السميع العليم .

قل: ربِّ لا تردني بعد إذ هديتني، ربِّ لا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة. قل كما كان أكثر دعاء النبي ﷺ، وأسألك بالله عليك هل أكثر دعائك هو دعاء النبي؟ أم أن هناك أمور أخرى تدعو بها من أمور الدنيا والآخرة؟ ربما العتق ربما المغفرة ربما شيء من أمور الدنيا. أما النبي ﷺ فأكثر دعائه: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" [صحيح الجامع (4801)]. فادعُ الله عزَّ وجلَّ وألح على الله بأن يتقبَّل منك .. فهذا من الأمور التي يتقبل بها العمل.

ومن علامات قبول العمل أن تجد الإنسان **دائمًا أبدًا مشغول بأن يتقبل الله منه عمله**، فيدعو ربه كثيرًا. هذا مقتضى اسمه **السميع**.

أما اسمه العليم فقد قال العلماء: إذا قال الله في أسمائه البصير فإنه يتكلم عن شيء في ظاهرك شيء تصنعه يبصره الناس ويبصره ربِّ الناس. **البصير** يتكلم عن الظاهر. فإذا قال **الخبير** فاعلم أنه يتكلم عن الباطن يتكلم عما في قلبك: {...وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة:234] أي يعرف ما في قلبك،

أما إذا قال **العليم** فإنه يريد الظاهر والباطن.

ماذا يعني هذا؟ حينما قال إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ...} [البقرة:127]: أي تسمع دعاءنا، {.. الْعَلِيمُ}: أي تعرف ظواهرنا وبواطننا.

فعلامة القبول: إصلاح الظاهر وإصلاح الباطن.

أصلح ظاهرك فيكون ظاهرك على سنة النبي محمد ﷺ، وأصلح باطنك فيكون قلبك كما قال ﷺ في صفة أفضل الناس: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟، قال "كل مخموم القلب صدوق اللسان"، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟، قال "هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد". [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

قلب لا أثر فيه للغل ولا للحقد ولا للحسد ولا البغضاء ولا الأوزار، قلب سليم، منيب، مخبِت، قلب طاهر. إذًا اسع في إصلاح ظاهرك وباطنك ليتقبل منك؛ لأنه سميع عليم سبحانه وتعالى.

إذًا أسباب وعلامات القبول:

أولاً: التقوى.

ثانيًا: الدعاء.

ثالثًا: إصلاح الظاهر والباطن.

رابعًا: أن تتصدق بصدقة بعد موسم الطاعة

ليتقبل الله توبتك ويتقبل عملك: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة:104]

هذه الآية بينت لنا الأمر الرابع ألا وهو أن تتصدق. لذلك كان بعض أهل العلم يوصي التائبين بذلك. والتوبة وظيفة العمر وكلنا يجب أن نجدد توبتنا، إذا كان سيد الخلق عليه الصلاة والسلام كان يُجدد توبته في اليوم مائة مرة: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة" [رواه ابن ماجه وحسنه الألباني]

فإذًا، كانوا يُحبون إذا تاب الإنسان أن يتصدق بصدقة بين يدي توبته يتأولون قول الله : {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة:104]

لماذا ختمها بالتواب الرحيم ؟

التواب تناسب {...يَقْبَلُ التَّوْبَةَ...} والرحيم تناسب {...وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ...} لأن الإنسان إذا تصدق يتصدق برحمة، لماذا؟ لأنه يتصدق على هذا الضعيف أو هذا الفقير أو هذا المسكين وأهالينا في الصومال يحتاجون ذلك منكم جميعًا.

إذًا الأمر الرابع: الصدقات، وعندنا مصارف كثيرة في ذلك أعلاها وأهمها الآن **إغاثة هؤلاء الملهوفين في أراضي الصومال، وإغاثة الفقراء والمساكين في كل مكان ..** هذا الأمر الرابع .

خامسًا: شكـــر النِـعَم

الأمر الخامس من أسباب وعلامات القبول هو ما جاء في سورة الأحقاف حينما قال الله جل وعلا: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ...} عدِدوا معي: {...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف:15] قال الله: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [الأحقاف:16]

فذكر ستة أمور بجانب الأربع تصير عشرة أمور هي التي إن تواصيت بها تكون على رجاء القبول ..

ماهي الست؟ الأمر الخامس فيها بدأها ربنا بأمر الشكر: {...أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ...}

هل أنت من الشاكرين لله ؟

كما كان وصف الخليل إبراهيم {شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ...} [النحل:121] ؟ هل أنت كثير الحمد لله؟ هل أنت معترف بأنك لم تكن مستحق أن تشهد رمضان؟ ولا أن تُبلِّغ هذه الليالي العظيمة ليالي القدر؟ ولا أن يمن الله عز وجل عليك بهذه الطاعات؟ فأمثالنا لايستحق هذا الفضل، لكن إذ الفضل والمن والعطاء من الله فاللهم لك الحمد كله، وإليك يُرجَعُ الأمر كله، أهل الثناء والمجد سبحانه وتعالى.

فيكون من علامات قبولك ومن أسباب ذلك أيضًا أن تكثر من الشكر للنعمة فتتحدث بذلك فتقول: والله يا إخواني ماكنت استحق أن يحدث ذلك لكن مَنَّ الله علي ووقاني ما كنت أخاف ألا أُبلِّغ رمضان فإذا بحمد الله قد بُلِّغته، اللهم لك الحمد. تعترف بذلك وتُقر بذلك وتتحدث بذلك : {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى:11] ويكون في باطنك اعتراف عميق بفضل الله عليك. ثم بعد ذلك لا يكن حظ ربك منك الفضلة؛ أن تُعطي لله فضلة وقتك بعد أن منَّ عليك .. إذا بك، كما لو أن بعض الناس يقول بلسان حالك: ماذا تريد مني يا رب صيام؟ صمنا، قيام؟ قمنا، قرآن؟ لقد تلونا. كفى سأعيش حياتي فعلت ما علي. بما أن رمضان قد انتهى سنذهب إلى المصايف نريد أن نقضي العيد. فبلسان حاله ينطق بذلك، وتجد بعض الناس هكذا بعد نهاية رمضان من اليوم الثاني يبدأون في المعاصي من جديد، حيث أن رمضان قد كفر السيئات. هذا ليس بحال الشاكرين ولا من علامات الفائزين, وإنما علامة القبول– كما قالوا – أن يوفق العبد إلى حسنة بعدها شُكرًا للحسنة التي كانت قبلها. فالعبد كذلك إن صام قال: يارب كيف أشكرك؟ علي أن أقوم. وإن قام قال: يارب كيف أشكرك على القيام؟ علي بالذكر. وإن ذكر انتقل من عباده إلى عباده. فهكذا {...أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...} .. هذا الأمر الخامس.

الأمر السادس: السعي في رضا الوالدين

وأفاد ذلك بعض أهل التفسير كالقُشيري وغيره أن من علامات القبول أن يسعى الإنسان في رضا والديه.

هل تريد أن تعرف أن الله رضي عنك أم لا؟ أن الله تقبل منك أم لا ؟ انظر إلى معاملتك لوالديك، وانظر إلى معاملتهما لك. فرضا الرب في رضا الوالد وسَخَط الرب في سَخَط الوالد كما قال النبي ﷺ "الوالد أوسط أبواب الجنة" [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]

فتأول العلماء هذه الآية أن الله قال: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا...} [الأحقاف:16] .. قالوا: من أسباب وعلامات القبول أن يكون الإنسان أكثر برًا لوالديه. فأنا أحتُكم على مثل ذلك. أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة؟، قال: "هل لك من أم؟"، قال: لا، قال: "هل لك من خالة؟"، قال: نعم، قال: "فبرَّها"[رواه الترمذي وصححه الألباني]

قال أهل العلم: "وذلك فبر الوالدين وصلة الأرحام أعظم أسباب تكفير السيئات".

حتى أن ابن عباس جاءه رجل يستفتيه أنه قتل نفسًا وقد سمع الله عز وجل يتوعد {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا...} [النساء:93] فقال: هل لي من توبة؟ قال: "هل لك من أم؟" ..فلما غادر الرجل فقال أصحاب ابن عباس له: لِمَ قلت مثل ذلك؟ قال : "لم أرى عملاً أعظم في تكفير السيئات من بر الوالدين".

إذًا علينا أن نحقق هذا الأمر السادس من علامات القبول وهو **بر الوالدين** {...أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ...}

الأمر السابع: عمل صالح يُرضي الله عزَّ وجلَّ

{...وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ...}

وما هو ؟ وهو أن تكون على ما يريد لا ما تريد:

أنا أريد مالاً، أنا أريد زواجًا، أنا أريد عملاً مُربحًا، أنا أريد أن أعيش كذا وكذا في مستوى معين.. أريد، أريد، أريد، والله يريد أمرًا آخر. خذها قاعدة قالها عوّن بن عبد الله قال: "إذا لم يكن ما تريد فأرِّد ما يكون". أنا كنت أريد أن أفعل أكثر من ذلك. أرد ما أراده الله لك {...وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ...} [البقرة:220] هذا من علامات الرضا.

ولاحظوا أن الله لم يقل وأن أعمل صالحًا. ليس كل عمل صالح مقبول، وليس كل عمل صالح يُرضيه. ألم يقل النبي ﷺ: "سبق درهم – في لفظ – مائة ألف درهم – وفي لفظ – ألف درهم" [حسنه الألباني]؟ شخص معه درهمان، فتصدق بدرهم، أي تصدق بخمسين في المائة من ماله. وآخر معه مليون وتصدق بألف، أي تصدق بواحد من ألف من ماله. فقال: سبق درهم مائة ألف أو ألف درهم أو حتى على مائة ألف فيكون قد تصدق بعُشر ماله. العُشر أم النصف؟ فبالتالي ليس كل عمل صالح

يرضيه. بعض الناس يقول: الحمد لله قد صمنا. ويقولون: رغم أن كان الصيام في شهر الصيف مع ذلك تكبدنا الصيام وصمنا الحمد لله، وقمنا وعملنا كذا وكذا، وهم يظنون بذلك أنهم يمنون على الله بعملهم. يُقال لهم: **ليس كل عمل صالح يرضيه** {...وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ...} المهم أن يرضى، لا أن ترضى. فإذا هو رضي فتكون أنت راضٍ بما يرضاه لك. لذلك علمونا في باب الرضا هذا المعنى.

جاء رجل إلى عُمر بن عبد العزيز في أسبوع توفي له ابنه وعمه. فقال: إن كان ابنك لخير ابن وإن كان عمك لخير عم ، وأخذ يواسيه. فقال: فرأيته شاردًا. ثم قال له : ويحك ما قلت؟ قال: أقول إن كان ابنك لخير ابن وإن كان عمك لخير عم. قال: "ويحك، أحبه إلى الله أحبه إلي" .. الذي يحبه لي حبيبي فهو حبيبٌ لي.

إذًا أن أعمل ما يحب لا ما أحب، أن أكون على مراده لا ما على مرادي، أن أعمل صالحًا يرضاه، لا ما أرضاه. أنا أرضى أني أصلي بكذا، أرضى بعمل معين. لا يهم ما ترضى المهم ما يرضاه هو. وهذا هو الأمر السابع {...وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ...}

الأمر الثامن: الاستقرار الأسري

قال {...وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي...} فلماذا هذا الأمر في القبول؟ لأن من علامات القبول الاستقرار العائلي، الاستقرار الأسري. كيف يصلح الله الذرية؟ {...وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً...} [الكهف:82] هذا هو عنوان التربية.

فإذا أصلحت ما بينك وبين الله، وإذا صلح حال الأبوين، صَلُحَ حال الذرية. فلما قال: {...وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي...} هذا لا يتحقق إلا إذا كان هو صالحًا وزوجه صالحًا، ولا يحدث ذلك إلا إذا كان هناك استقرار في البيت. بعض الناس تخرج من الاعتكاف وبهمة عالية ويريد أن يصنع ويصنع، فيجد زوجه ليس كذلك. وتبدأ في المشاكسات والاختلافات، والشيطان الذي كان مصفدًا خرج ليُعكر على الناس بيوتهم. فيبدأ الفساد من البيت، ويجد الإنسان عدم استقرار ويظل مهمومًا وتراه دائمًا أبدًا حزينًا مكتئبًا بسبب الخلافات العائلية. كل ذلك بسبب أي شيء؟ دخل الشيطان البيت. وكيف يخرج من البيت؟ إن حققنا هذا المعنى أن يصلُحَ الرجل وتصلح الزوجة. وكيف يكون ذلك؟ أن يجتمعا على طاعة الله. فرحم الله رجلاً قام من الليل فأيقظ أهله والعكس صحيح. يجتمعا على طاعة الله فينصلحا، فيُصلحا أولادهما، ويُصلح الله أولادها بذلك {...وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي...} هذا هو الأمر الثامن.

الأمر التاسع: تجديـــد التـوبـة

{...إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ...} وهو تجديد التوبة:

قلنا أن التوبة هي وظيفة العمر. فدائمًا أبدًا بعد العمل. لماذا كان النبي ﷺ بعد أن يُصلي يستغفر الله ؟ ولماذا بعد رمضان نصوم الست من شوال؟ قالوا: من باب صيام الدهر؛ لورود ذلك في الحديث الذي رواه مسلم "من صام رمضا ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر" [صحيح مسلم]

وقالوا: أن يكون بمثزلة الكفارة للنُقصان الذي حدث في رمضان كما تأتي السنة البُعدية. فلذلك فبعد العمل تحتاج أن تتوب. بعد العمل تحتاج أن تستغفر كما فَهِمَ ذلك أهل الجنة لما دخلوا الجنة قالوا: {...رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا...} دخلوا الجنة! {...وَاغْفِرْ لَنَا...}[التحريم:8] لم يعد هناك معاصي حتى يستغفروا منها! ولكنهم عرفوا أن الدعاء يُقبل والعمل يُقبل إذا جاء بعده التوبة والمغفرة. فلهذا قال: {...إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ...}، وهذا الأمر التاسع.

الأمر العاشر: الاستسلام والانقياد لأمر الله تبارك وتعالى

{...وَإِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}

أن تكون مسلمًا بحق، تُحقق معنى الإسلام. لا نريد إسلامًا في بطاقتك ولا محل له من واقعك. لا نريد إسلامًا في عقلك وليس له تطبيق في الواقع.

الإسلام : : عقيدة وشريعة وأخلاق وسلوك .

هل أنت من المسلمين؟ هل عقيدتك هي عقيدة المسلمين لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ وهل أنت تُطبق شرع ربِّك في بيتك وفي زوجك وفي حالك وفي سائر أمرك؟ هل أنت مُطبِق لشرع الله لتكون من المسلمين؟ هل أخلاقك أخلاق النبي الأمين ﷺ؟ وهل سلوكياتك تنبيء عن أنك من المسلمين؟

قُدِرَ لي أن أكون في بيت الله الحرام وعدنا – كما سمعتم عن هذه الأزمة التي في المطارات وغيرذلك – فانظروا ماذا حدث. كنا في مطار جدة ننتظر الطائرات ونجري الإجراءات للسفر وإذا بالوقت يطول جدًا. فوالله الذي لا إله غيره، وكان يوم تسع وعشرين وكان الناس على صيام، سبوا الدين. كيف ذا؟ فقد انتهى رمضان بالنسبة لهم بالحرم، وانتهى كل شيء والآن يريد أن يرجع. سب الدين ورجع كل شيء. لأي شيء هذا؟ بسبب حقيبته التي يريد أن يعود بها، والهدايا التي أحضرها للأقارب والأحباب .. سب الدين والله الذي لا إله غيره. والبعض رأيته وسمعته يقول: "يا رب تُرهقنا هكذا يا رب؟" أعوذ بالله أعوذ بالله، أي شيء ذلك؟ أي سلوكيات هذه؟ إني من المسلمين؟

هذا هو ما يقول عنه أهل علم النفس مرض الانفصام "شيزوفرينيا". المسجد شئ والشارع شيء آخر. الكلام شيء والتطبيق شيء آخر. نسمع خُطَب جمعة ولا نعمل بها. لقد أتينا لنقضي الوقت في الاستماع فقط، نسمع من أجل الاستماع ، ونتكلم من أجل الكلام، إنما التطبيق في وادٍ آخر.

هذا حال الناس وهذا لا يكون أبدًا حال أهل الإسلام والإيمان والتقوى .. حال ناس شَهِدوا رمضان واعتمروا في رمضان وكانوا في الليلة الماضية يبكون عند ختم القرآن ..

فإياكم والانفصام بين القول والعمل وبين الأخلاق والسلوك.

هذه عشرة أمور هي أسباب وعلامات للقبول، خذوا بها لتكونوا من أهل الهناء . . .

ليت شعري من منا المقبول فنهنيه يحقق هذه العشر ويكون من أهل التقوى، ويُكثر من الدعاء، والإلحاح على الله تبارك وتعالى، ويُصلح ظاهره وباطنه، ويتصدق بصدقة، ويشكر نعمة الله عليه، ويبر بوالديه، ويكون على مراد الله لا على مراده هو من نفسه {...وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ...} يُصلح حال بيته، ويستقر عائليًا، وينصلح بيته بصلاحه وصلاح زوجه، فمن صلحت ذريته ويكون بعد ذلك مجددًا لتوبته، وأخيرًا يحقق معنى الإسلام.

علامـــات الردَّ ..

إذا كانت هذه العشر هي أسباب القبول فالقرآن يقُص علينا أيضا أسباب الردَّ فجعل القرآن أسباب الردّ على أمرين:

أولاً: الفسوق

وهي جاءت في سياق الكلام عن أهل النفاق {قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ} [التوبة:53]

{وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} [التوبة:54]

تريد وصفًا للمردود...من المردود؟..وقِس على حالك.

المردود بعد رمضان صار متكاسلا عن الصلاة.

المردود بعد رمضان صار يشعر أنه أدى ما عليه، فإن طُلِبَ منه شيء آخر أنفق وهو كاره ..

المردود لم يعد قلبه متعلق بالله كما كان ينبغي فتحقق بمعنى كفران النعمة {...كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ...}

هؤلاء أهل الفسوق لا يُقبلون ويُرد عملهم لن يُقبل منكم هذا العمل، وهذه الكلمة إن سمعها العبد السائر إلى الله وجل قلبه، نعوذ بالله من عدم القبول.

ولذلك هم دائمًا أبدًا يخافون من فوات الأجر ودائمًا قلوبهم مُعلقة بالخواتيم فإذا قلت له: إنك امرؤ صالح، قال: إنما الأعمال بالخواتيم.

لا ندري ... نعم أنا صمت وقمت ... وقد نُهينا أن يقول الرجل صُمت رمضان وقمته وعُلل ذلك بأمرين

إما أن الإنسان لا يُمكن أن يكون عمله كاملاً .. وإلا بالله عليك وأنت صائم في رمضان كنت صائم الجوارح والقلب؟

أم كان الصيام صيامًا عن الأكل والشرب والشهوة؟

أي أن قلبك لم يكن يلتفت لغير الله أي أن جوارحك لم تنظر نظرة سوء أو تكلمت بكلمة سوء ولا شيء من هذا القبيل أثناء الصيام أم حدث مثل ذلك؟

وفي القيام هل كنت عندما يقول الإمام الله أكبر تضع قلبك عند الله فتصير خاشعًا خاضعًا أم كنت تسهو وتشرد ولا تخشع.

إذًا ما منا من إنسان إلا ويعتريه النقصان؛ فلذلك لا ينبغي لنا أن يقول أحدنا صُمت وقُمت لأن العمل ناقص.

وقالوا من علامات الرد

ثانيًا: إعجاب المرء بنفسه

فلذلك نُهيَّ الإنسان أن يقول صُمت وقُمت؛ لأنه يُعجب بعمله وهذا سبب من أسباب الرد ... إذا كان سبب الرد الفسوق وبينا ذلك في الآية، فمن أسباب الرد كذلك إعجاب المرء بنفسه ولذلك يفتر ولذلك يُرَد على عقبه، ويسأل ويقول: يا شيخ والله كنت أقرأ في اليوم كذا وكذا من الأجزاء وكنت أصلي كذا والآن الحال صعب جدًا، فماذا حدث؟

إما أنه يعتريك الفتور الذي يعترى كل إنسان .. قال النبي ﷺ "إن لكل عمل شِرَّة (أي نشاط) ولكل شِرَّة فترة، فمن كان فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك" [صحيح الجامع (2152)]

وإما أنك أُعجبت بعملك، وقد قالوا علامة الاعتماد على العمل .. أي أنك تركن على عملك وتقول: أنا أعمل جيدًا وأنا أفضل من غيري، والحمد لله أدخل المسجد وأصلي وغيري لا يفعل ذلك أبدا فاعتمد على عمله..

⊂ وعلامة الاعتماد على العمل:: نُقصان الرجاء عند حدوث الزلل،

أي لما يحدث له زلة بعد رمضان فهو كان كل يوم يلحق تكبيرة الإحرام وكان كل يوم يصلي النوافل وفي يوم العيد فاتته صلاة كذا فهذه علامة الرد .. فيقول: أنا لست مقبولاً، وأن الله لا يريدني وضاع كل شيء وهذه علامة أنه معتمد على العمل فلذلك يحدث له ذلك وإنما أنت عبد مأمور عبد مُدبَّر فأنا الآن إذا فاتني شيء {...لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ...} [آل عمران:153]

استدرك الفائت

كان ﷺ إذا فاته ورده من الليل قضاه من الضحى، ولو كان اليومين السابقين لا يوجد تركيز عيد وكذا فلا إشكال ابدأ من الآن ما فاتك ولم ينتهي الأمر ولم يُردَّ عملك فأنت لا تعرف النتيجة ولن يستطيع إنسان أن يعرف النتيجة أنه مقبول أم مردود ولكن ثمة علامات التي نتدارسها.

إذًا علامة أنك معجب بعملك: أنك إذا حدثت لك أي هفوة أخذت تردد كلمات اليأس والإحباط والاكتئاب وهذه المعاني فنُقصان الرجاء عند حدوث الزلل. فإياك أن تُعجب بعملك فيحبَط .. إياك أن يتحقق فيك شيء من علامات الفسوق كما بينتها لك؛ أن تكون كارهًا للبذل بعد رمضان .. أن تكون متكاسلاً على الصلاة .. وألا تشكر نعمة الله عز وجل عليك فيُرَدُ عليك عملك.

هذه أسباب القبول والرد كما بينها القرآن .. ونسأل الله أن نكون هابيل القبول لا قابيل الرد

اللهم اجعلنا من أهل القبول لا من أهل الرد

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

اللهم تقبل منا رمضان .. اللهم تقبل منا رمضان

اللهم اجعلنا ممن فاز بثمرات رمضان فكتبته عندك من العتقاء من النيران وأذنت له بالعفو والغفران

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تُعذبنا فأنت علينا قادر

اللهم لا تجعل حظنا منك ألسنتنا .. اللهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبعُ أحسنه

اللهم اجعل ما نقول وما تسمعون حُجة لنا لا علينا .. اللهم اجعل ما قلت وما سمعتموه حُجة لنا لا علينا

اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ .. ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد .. ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك

ونسألك السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر .. ونسألك قلبًا سليما ولسانًا صادقا

ونسألك من خير ما تعلم وعوذ بك من شر ما تعلم .. ونستغفرك لما تعلم إنك سبحانك علام الغيوب

اللهم كن لعبادك المستضعفين من المسلمين في كل مكان

اللهم كن لعبادك المستضعفين في سوريا .. اللهم كن لعبادك المستضعفين في الصومال

اللهم اكسُ عاريهم اللهم أطعِم جائعهم .. اللهم أطعِم جائعهم

اللهم كن لهم ولا تكن عليهم

اللهم هيئ لنا أمر رشد يُعَزُ فيه أهل طاعتك ويُذَلُ فيه أهل معصيتك

اللهم ولِّ علينا خيارنا ولا تولِّ علينا شرارنا

اللهم أمّنا في أوطاننا .. اللهم أمّنا في بلداننا

اللهم اجعل بلدنا مصر أمنا ورخاء وسعادة يا رب العالمين

اللهم عجِّل بفرجك لكل مكروب .. اللهم نفس الهم والكرب عن كل مكروب

اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين .. اللهم ارحم موتانا وموتى المسلمين

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا أمرنا رشدا

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

فستذكرون ما قُلت لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.